من تجربتي في تحقيق
نسبة الكتاب وتوثيق عنوانه

د. رمضان عبد التواب (*)

التحقيق فن وعلم يحتاج إلى الكثير من الصبر والخبرة ، وتجارب أعلام هذا الفن جديرة بالاطلاع عليها ، للإفادة منها .

والدكتور رمضان عبد التواب له باع طويل في ميدان التحقيق ، فقد حقق حوالي ٣٠ كتابا في علوم اللغة العربية : فقهاً وبلاغة وأدباً وتاريخاً . كما أنه وضع كتاباً في مناهج تحقيق النصوص بين القدامى والمحدثين .

وفي هذا البحث الميداني يتحدث د. رمضان عن تجربته في جزء هام لا غنى عنه في عملية التحقيق : نسبة المخطوطة وتوثيق عنوانها .

« المجلة »

* أستاذ ورئيس قسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة عين شمس ، وعضو فى ٣١ هيئة علمية وندوة ومؤتمراً . له ١٠ مؤلفات ، وترجم ٥ كتب ، وحقق ٣٠ كتاباً ، وكتب ٧٦ مقالاً وبحثاً علمياً في مختلف الدوريات الصادرة في الوطن العربي .

أن قلت فى كلام قديم لى ، إن المحقق لابد أن يتحلى بالصبر
سبق والجلد ، وأن « المحقق الأمين قد يقضى ليلة كاملة فى تصحيح كلمة ، أو إقامة عبارة ، أو تخريج بيت من الشعر ، أو البحث عن علم من الأعلام فى كتب التراجم والطبقات [1] » .

واليوم أقول إن هذا المحقق قد يقضى شهورا وسنوات ، وهو يبحث فى تحقيق نسبة مخطوطة إلى صاحبها ، أو التهدّى إلى معرفة صحة عنوانها !

ولى مع هذا الموضوع الشائك الشائق تجارب وتجار ب ، يضيق المقام هنا عن سردها كلها ، ولكن الأمثلة قد تغني عن الحصر .

فى عام ١٩٦٢ م ، عنيت بجمع تراث لحن العامة المخطوط ، من مكتبات العالم المختلفة ، تمهيدا لتحقيقه ونشره ودراسة التطور اللغوى فى العربية من خلاله . وكان فى مكتبة دير الإسكوريال بأسبانيا ، مخطوطة فى هذا المجال برقم ١٢٣ تسمى : « أغلاطي » لصفى الدين الحلى ، وعندما حصلت على ميكروفيلم منها ، وجدت فى أول المخطوطة : « هذه مسائل مهمة للصفى الحلى ، ومن خطه نقلت ، من كتابه الموسوم بأغلاطى [2] » .

وعندما تصفحت المخطوطة ، لم أجد نصها غريباً علىَّ ، فأنا أعرفه تماما فى كتاب : « تصحيح التصحيف وتحرير التحريف [3] » للصلاح الصفدى (المتوفى سنة ٧٦٤ هـ) ، وكانت عندى منسوخة من هذا الكتاب ، من مصورة المكتبة الزكية بدار الكتب المصرية (رقم ٣٧ ـ ٣٨

---

(١) انظر : مقدمة تحقيقى لكتاب : « البلغة فى الفرق بين المذكر والمؤنث » ، لابن الأنبارى ٤ ومناهج تحقيق التراث ٤ ؛ ١١٧ .

(٢) هكذا فى المخطوطة وكتالوج ديرنبورج ص ٧٦ رقم ١٢٣ وهو صواب . أما ماذكره بروكلمان GAL II 160 وعيسى اسكندر المعلوف فى مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٣٥٣/٣ وكذلك ريزيتا نوفى قائمته رقم ٣١ من أن اسم المخطوطة : « الأغلاطى » فهو خطأ !

(٣) نشره فيما بعد تلميذى الدكتور السيد الشرقاوى ، بالقاهرة سنة ١٩٨٧ م ، وكان جزءا من متطلبات رسالته للماجستير ، تحت إشرافى .

لغـة) . وعنـدما قارنتها بمخطوطة الإسكوريال هذه ، تأكد لي بالفعل أن ما يسمى « بأغـلاطي » للصفي الحلي ، ليس إلا نسخة أخرى ناقصة من كتـاب : « تصحيح التصحيف وتحـريف التحريف » للصفدى ، وهى فى الحقيقة عبارة عن النصف الثانى من هذا الكتاب .

ولعـل قائـلا يقـول : لمـاذا لا يكون الكتاب فى الأصل ، من تأليف الصفى الحلى [1] ، وأن تكـون نسبته إلى الصفدى غير صحيحة ؟ ونقول نحـن : إن الـكتـاب ينسب فى بعض كتب التـراجم والـطبقـات إلى الصفدى [2] ، ولم أجد فى هذه الكتب ذكراً له بين مؤلفات صفى الدين الحلى .

هذا إلى أن فى نصوص الكتاب نفسه ما ينطق بنسبته إلى الصفدي ، ونفيه عن الحلى ؛ فقد ذكر فيه الصفدى بعض كتبه التى نعرفها له ؛ كقوله مثلا (تصحيح التصحيف ١٤) : « وقد ذكرت فى كتابى : فض الختام عن التـورية والاستخـدام ، الأمـاكن التى صحفهـا حماد الراوية ، فى القرآن العـظيم » ، وقـوله (تصحيح التصحيف ٦٤) : « وأما ما عثرت عليه من التصحيف فى كتـاب الصحـاح للجوهرى ، فقد ذكرت ذلك مستوعباً فى كتـابى : نفـوذ السهم فيمـا وقـع للجوهرى من الوهم » ، وقوله (تصحيح التصحيف ٣٣١) : « وقد أشبعت القول فى هذه المسألة فى كتاب : نفوذ السهم فيمـا وقـع للجـوهـرى من الـوهم » ، وقـوله (تصحيح التصحيف ٣٥٥) : « وقد ذكرت ذلك فى كتابى : حلى النواهد على ما فى الصحاح من الشواهد » .

وفى مقدمة الكتاب (ص ٢٩ ـ ٣٠) نقرأ قول مؤلفه : « وأما تصحيف (خليل) فكنت أنا قد كتبت إلى القاضى جمال الدين عبد الله بن الشيخ علاء الدين بن غانم ، رحمهما الله تعالى ، وقد توجه من دمشق إلى بعلبك ، وطالت غيبته ، وصحفتْ اسمى فى عدة مواضع من أبيات . . . منها :

أنـا جليلُ صُحبـة ... ودادُهـا قد جَلَبَـكْ
حَلْيُك فيه فاخـر ... وسِحْـرُه قد خَلَبَكْ »

---

(١) هو صفى الدين عبد العزيز بنّ سرايا الحلى ، ولد سنة ٦٧٧ هـ ، وتوفى سنة ٧٤٩ هـ ، وكان من شيوخ الصفدى . انظر : النجوم الزاهرة ٢٣٨/١٠ .

(٢) مثل : هدية العارفين ٣٥١/١ .

ونحن نعرف أن اسم الصفدى : (خليل) ، أما الحلي فاسمه : (عبد العزيز) .

كمـا يُروى فى الكتـاب عن الحـافظ المِـزِّى ، والمِـزيّ من شيوخ الصفدى [1] . ومن أمثلة ذلك قوله : « ما رأيت فيه من يحقق لفظه ، غير شيخنا الحافظ جمال الدين المزى رحمه الله [2] » .

أمـا نسبة الكتاب إلى « الصفى الحلى » فى مخطوطه الإسكوريال ، فيبـدو أن السبب فيهـا أن الصفـدى يروي فى الكتـاب كثيرا عن شيخـه « الحلى » ، فخيل للناسخ حين رأى هذا الاسم يتردد فى المخطوطة كثيرا ، أن الكتاب للحلى ، ولعله كان ملحقا بكتاب آخر بخط الحلى ، يسمى : « أغلاطى » [3] .

يقـول الصفـدى مثـلا (تصحيح التصحيف ٢٢) : « وللشيخ صفى الدين عبد العزيز بن سرايا الحلى رحمه الله ، رسالة رويتها عنه بالإجازة » . ويقول (تصحيح التصحيف ٣١) : « ومن التصحيف اللطيف ما أنشدنيه لنفسه إجازة الشيخ الإمام صفى الدين عبد العزيز بن سرايا الحلى ، رحمه الله » . ويقول (تصحيح التصحيف ٣٨) : « وأنشدنى إجازة لنفسه صفى الـدين عبد العزيز الحلى » . ويقول (تصحيح التصحيف ٤٣) : « ومن ذلـك ما أنشـدنيه لنفسـه إجـازة الشيخ صفى الـدين عبد العزيز بن سرايا الحلى ، رحمه الله تعالى » .

هذا ، ومن الأدلة كذلك على صحة نسبة الكتاب إلى الصفدى ، أن فيه إجـازة بخـطه [4] ، يقـول فيهـا : « قرأ عليَّ كتابى هذا الموسوم بتصحيح التصحيف وتحرير التحريـف ، فى ستة عشر ميعادا ، من أوله إلى آخره ، فى مدة كان آخـرها يوم الاثنين عاشر ذى القعدة سنة تسع وخمسين ، المولى الإمام الفاضل . . . وقد أجزتهم أجمعين رواية ذلك ، ورواية ما يجوز لى تسميعـه ، بشرطه المعتبر عند أهل الأثر . وكتب خليل بن أيبك الصفدى بحلب المحروسة ، حامدا الله تعالى ، ومصليا على نبيه ومسلما » .

* * *

(١) انظر ترجمة المزى ، فى الدرر الكامنة ٥/٢٣٣ ـ ٢٣٧ .

(٢) تصحيح التصحيف ٣٢٧ = الإسكوريال ١٣/٩ .

(٣) أو لعل هذا العنوان من اختراع الناسخ ، استقاه من مضمون الكتاب .

(٤) فى صفحة ١٢ من مصورة الزكية = صفحة ٣٧ من مقدمة التحقيق .

وهـذان كتابان مطبوعان للأصمعي ، في اللغة ، عرفتهما وأنا أحضر رسالتي للدكتوراه في ألمانيا سنة ١٩٦٠ م ، وهما : كتاب « الأضداد [١] » ، وكتاب « النخل والكرم [٢] » .

غير أن من يدرس الكتاب الأول ، ويقارنه بكتاب : « الأضداد » لابن السكيت [٣] ، يدهش حين يرى الاتفـاق الكبير بين هذين الكتابين ، وقد لاحظ ناشره « هفنر » ذلك ، غير أنه قال في مقدمة كتاب ابن السكيت [٤] : « يمكننا اعتبار كتاب الأضداد ، لابن السكيت ، كرواية ثانية لكتاب الأصمعي » .

وهذا الكلام الذي يقوله « هفنر » غير صحيح ، فإن كتاب « الأضداد » الـذي ينسب للأصمعي ، يفيض بالـراوية عن أبي زيد ، والأموي ، وابن الأعـرابي ، وأبي عبيدة ، والفــراء ، والأثــرم . وإن من يدرس مؤلفـات الأصمعي التي وصلت إلينـا ، يعرف أنه لم يرو عن هؤلاء الرجال شيئا ، وعلى الأخص عن خصميه : ابن الأعرابي ، وأبي عبيدة ، فليس في واحد من كتبــه أي ذكــر لهم . هذا إلى أن الأخير ، وهـو الأثـرم ، شيخ لابن السكيت ، لا للأصمعي .

وإذا كنا نرى هذه الأسماء ، ترد بعينها في أماكن مطابقة ، في كتاب ابن السكيت ، فإن المرء يستطيع الحكم بأن كتاب : « الأضداد » الذي ينسب إلى الأصمعي ، ليس إلا رواية أخرى لكتاب ابن السكيت .

أما أن تكون المخطوطة التي اعتمد عليها « هفنر » في نشر الكتاب ، كانت تحمل اسم الأصمعي ، فأمر سهل التعليل ؛ لأن الكتاب يبدأ بعبارة : « قال الأصمعي » ، فابن السكيت يبدأ كتابه بالرواية عن الأصمعي ، فجاء أحد النساخ ، وظن الكتاب كله للأصمعي ، فنسبه إليه . وأغلب الظن أن ذلك قد حدث هنا ويحدث في حالات مماثلة ، بسبب ضياع ورقة العنوان .

---

(١) نشرة أوجست هفنر ، في مجموعة بعنوان : « ثلاثة كتب في الأضداد » ـ بيروت ١٩١٣ م .

(٢) نشرة أوجست هفنر ولويس شيخو ، في كتاب : « البلغة في شذور اللغة » ـ بيروت ١٩١٤ م .

(٣) نشره أوجست هفنر في مجموعة : « ثلاثة كتب في الأضداد » السابقة .

(٤) هامش صفحة ١٦٣ .

ومما يمكن أن يمثل به لهذه الظاهرة هنا : مخطوطة « الغريب المصنف » الموجودة بدار الكتب المصرية (تحت رقم ١٢١ لغة) ، والتى كتب فى صفحة العنوان بها : « الغريب المصنف لأبى عمرو الشيبانى » . والصواب أن الكتاب لأبى عبيد القاسم بن سلام الهروى ، كما هو ثابت فى مخطوطاته الأخرى . ولعل السبب فى خطأ النسبة فى هذه المخطوطة ـ كما قلنا ـ أن الكتاب يبدأ بعبارة : « قال أبو عبيد : سمعت أبا عمرو الشيبانى يقول . . . » ، فظن الناسخ الذى كان ينسخ ـ فيما يبدو ـ من نسخة ضاعت منها ورقة العنوان ، أن الكتاب لأبى عمرو الشيبانى ، فعزاه إليه .

ولا يعنى ما قلناه هنا ، أن الأصمعى لم يؤلف كتابا فى « الأضداد » ، فإن جمهرة المصادر التى ترجمت له ، تذكر أنه ألف مثل هذا الكتاب (١) ، غاية ما هناك أنه ضاع ولم يصل إلينا ، وليس هو على أية حال ، ذلك الكتاب المطبوع الذى نشره « هفنر » منسوبا إليه (٢) .

* * *

أما الكتاب الثانى ، الذى ينسب زورا وبهتانا إلى الأصمعى ، وهو : « النخل والكرم » ، فقد قال عنه « هفنر » فى المقدمة : « هذا الفصل ورد فى النسخة الدمشقية ، من الصفحة ٢٦١ ـ ٢٩٣ وليس فى أول الفصل ذكر اسم الأصمعى ، ولكن صاحب لسان العرب ، نقل كثيرا من هذا الكتاب بحرفه الواحد ، وهو يعزوه مطلقا إلى الأصمعى ، فلا نتمارى فى نسبته إليه » .

غير أن « لويس شيخو » يشك فى هذا الكلام ، حين يقول : « أما نسبة الدكتور هفنر هذا الكتاب إلى الأصمعى ، فهو على ما نظن على التغليب ؛ لأن نسختنا التى أخذ عنها ، لا تصرح باسم الأصمعى . ومن المحتمل أن يكون الكتاب لأبى عبيد معاصر الأصمعى . ومما يحملنا إلى نسبته لأبى عبيد ، أن الشروح للمفردات ، توافق ما جاء فى لسان العرب ، والمخصص

---

(١) انظر : مقدمة تحقيقنا لكتابه : « اشتقاق الأسماء » ص ٢٧ ـ ٢٨ .

(٢) انظر كذلك : مقالتنا « كتاب الأضداد للأصمعى ليس للأصمعى » فى مجلة : « المكتبة » العراقية ـ نوفمبر ١٩٦٦ ، وكتابنا : « فصول فى فقه العربية » ٢٣٨ ـ ٢٣٩ وكتاب محيى الدين توفيق : « ابن السكيت اللغوى » ٢٤٧ ـ ٢٤٨ وقد حاول الدكتور محمد حسين آل ياسين عبثا تصحيح نسبة هذا المطبوع إلى الأصمعى . وهو منه برىء . انظر كتابه : « الأضداد فى اللغة » ٣٦٧ ـ ٣٧٥ .

لابن سيدة ، منسوبا لأبى عبيد ، أكثر منها للأصمعى . ومن المحتمل أيضا أن يكون الكتاب لأبى حاتم تلميذ الأصمعى » .

وحين درست هذا الكتاب : « النخل والكرم » قبل حوالى ثلاثين عاما ، تبين لى أنه فى الحقيقة والواقع ، كتابان مستقلان ، لا علاقة لأحدهما بالآخر ، وهما : « كتاب النخل » و« كتاب الكرم » .

وقد قادتنى دراستى للكتاب الأول ، وفحصى له بعناية ، إلى اليقين بأن هذا الكتاب ، ليس إلا قطعة من كتاب : « الغريب المصنف » لأبى عبيد القاسم بن سلام الهروى (1) ، وذلك بعد حذف أسماء الرواة ، ومعظم الشواهد الشعرية . والمثال التالى يوضح ذلك على الوجه الأكمل (ما تحته خط هو ما تركه صاحب الكتاب المزيف) :

النخل ٧٠ :

« ومن نعوت النخلة فى حملها : إذا كانت تدرك فى أول النخل ، فهى البَكُور ، وهن البُكُر . والمُبْتِل : الأم يكون لها فَسِيلة ، وقد انفردت واستغنت عن أمها . ويقال لتلك الفسيلة : البَتُول . والبَكِيرَة مثل البَكُور . والمِسْلاخ التى نبتت (كذا) بواسرها . والخَضِيرة : التى نبت (كذا) بُسْرُها وهو أخضر . والمئخار : التى يبقى حملها إلى آخر الصِّرام » .

الغريب المصنف ٢٥٩ :

باب نعوت النخل فى حملها : **الأصمعى**: إذا كانت تدرك فى أول النخل ، فهى البَكُور ، وهى البُكُر . **وأنشد للمتنخل** :

ذلك ما دينكَ إذ جُنِّبَتْ   أحمالُها كالبُكُر المُبْتِلِ

قال : والمُبْتِل : الأم تكون لها فسيلة ، قد انفردت واستغنت عن أمها ، فيقال لتلك الفسيلة : البَتُول . **الفراء** البَكيرة مثل البَكُور . **قال** : والمسلاخ : التى ينتثر بسرها . والخَضِيرة : التى ينتثر بسرها وهو أخضر . **الأصمعى** : المئخار : النخلة التى يبقى حملها إلى آخر الصِّرام . **وأنشد** :

تَرى العَضِيض المُوقَر المئخارا

---

(١) توفي سنة ٢٢٤ هـ . انظر الترجمة المفصلة التى صنعناها له في مقدمة تحقيقنا لكتابه : الخطب والمواعظ (ص ٧ ـ ٧٢) .

من وَقْعة ينتشر انتشارا »

* * *

أما الكتاب الثانى : « الكرم » ، ففى أوله العبارة التالية : « عن أبى حاتم السجستانى » . وقد علق الناشر على ذلك بقوله فى الهامش : « كذا فى الأصل . والظاهر أن أبا حاتم السجستانى ، روى كتاب الكرم عن الأصمعى » !

غير أننى وجدت نص كتاب الكرم يبدأ بالإسناد التالى : « حدثنا الحسن ابن على الطوسى ، قال : حدثنا أبو سعيد الحسن بن الحسين السكرى ببغداد ، قال : أخبرنا أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان [1] السجستانى ، قال الطائفى : يقال . . . » .

وفى هذا الإسناد ، لا نرى اسم الأصمعى على الإطلاق ، بل نرى اسم أبى حاتم السجستانى . وهذا يجعلنا نؤمن بأن هذا الكتاب ، من تأليف أبى حاتم ، لا من تأليف الأصمعى . ويؤيد هذا أيضا أن ابن النديم [2] يذكر أن أبا حاتم ألف كتابا فى « الكرم » . ويؤيد هذا أيضا أن الذين ترجموا للأصمعى ، لم يذكروا أنه ألف مثل هذا الكتاب [3] .

* * *

وهذا مثال آخر ، يظهر منه ضرورة توثيق عنوان الكتاب قبل الإقدام على نشره ، وإخراجه للناس ؛ فقد نشر المجمع العلمى العربى بدمشق فى عام ١٩٦٢ م ، كتابا للإمام أبى القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى (المتوفى سنة ٣٣٧ هـ) هو كتاب : « الإبدال والمعاقبة والنظائر » ، بتحقيق المرحوم عز الدين التنوخى ، عن نسخة وحيدة مصورة بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة برقم ٣٥٦ نحو ، عن مخطوطة رئيس الكتاب باستانبول (رقم ٨٧٩) .

وقد أثبت بحثى فى كتب التراجم والطبقات ، أن هذا الكتاب لم يذكره

(١) في الأصل : « عمر » وهو تحريف .

(٢) انظر كتابه : الفهرست ٩٣ .

(٣) انظر : مقدمتنا لتحقيق كتاب : « اشتقاق الأسماء » للأصمعى ، ومقالتنا بعنوان : « وكتاب النخل والكرم أيضا ليس للأصمعي » فى مجلة : « المكتبة » العراقية ـ مارس ١٩٦٧ م ، وكتابنا : « فصول فى فقه العربية » ٢٤٠ ـ ٢٤١ .

أحـد ممن ترجمـوا للزجـاجى ، غير أن ذلـك ما كان يعنى شيئـا بالنسبـة للكتـاب ، فعنـدنـا الكثير من الكتب ، التى لا يشك أحد فى نسبتها إلى أصحابها ، ولم يذكرها كتّاب التراجم والطبقات ؛ لأنهم لم يعنوا بالحصر الكامل لمؤلفات من يترجمون له ، فعدم ذكر كتاب ما فى واحد من كتب التـراجم والـطبقـات ، لا يصـح وحده أن يكون مؤديا إلى الشك فى نسبة الكتاب إلى مؤلفه ؛ إذ لم تَدَّع كتب التراجم يوما أنها أحصت جميع مؤلفات العلماء الذين يرد لهم ذكر فيها .

ولـدينا الأمثلة علـى ذلك ؛ فكتـاب « الأمثال » لمـؤرج السـدوسي ، الـذى نشـرتـه أنا بالقاهرة سنة ١٩٧٦ م ، لولا اقتباسات منه فى « جمهرة الأمثـال » للعسكـرى ، و« مجمـع الأمثال » للميدانى ، و« خزانة الأدب » للبغدادى ، وغيرها ، لشك المرء فى نسبته إليه ؛ إذ لم يرد له ذكر بين كتب المؤرج ، التى تروى له فى كتب التراجم والطبقات .

وكـذلك كتاب : « البئر » لابن الأعرابى ، الذى نشرته أنا كذلك فى القـاهـرة سنـة ١٩٧٠ م ، لم يذكـر فى كتب الطبقات التى ترجمت لابن الأعرابى ، وإنما ذكر فى فهرسة ابن خير وحدها ، إلى غير ذلك من الحالات الكثيرة التى يظهر فيها كتاب معين لعالم من العلماء ، ولم تنبه عليه الكتاب التى ترجمت له [1] .

بناء على كل هذا ، لم يكن من المستغرب أن يوجد بين أيدينا كتاب للزجـاجى ، لم تذكـره كتب التـراجم والطبقات ، وهو كتاب : « الإبدال والمعاقبة والنظائر » ، غير أننى عندما درست قديما كتاب : « شرح شواهد الشـافية » للعـالم الجليل « عبد القادر البغدادى » ، عرفت أن مايسمى : « بالإبدال والمعاقبة والنظائر » للزجاجى ، ليس إلا فصلا من كتاب آخر كبير له ، هو : « الأمالى الكبرى » .

وقـد صرح بذلك البغدادي فى أكثر من مرة ، كما أثبتت المقابلة بين النصوص التى اقتبسها البغدادى ، والكتاب المطبوع ، صدق هذا الرأى .

فمن ذلـك قول البغـدادى (شرح شواهـد الشـافية ٤٢٣) : « وأورد

(١) انظر : مقدمات تحقيقى لقواعد الشعر لثعلب ١٤ والأمثال لمؤرج ٢٢ والبئر لابن الأعرابى ٢٩ وانظر أيضا كتابنا : مناهج تحقيق التراث ٧٤ ـ ٧٥ .

الزجاجى فى أماليه الكبرى ، فى باب : المعاقبةوالإبدال ، كلمات أخر لم يذكرها ابن السكيت ، قال : باب الحاء والخاء : يقال دَحمته ودَخَمته ، ومرحوم ومرخوم . ومنه : نضحته ونصخته . قال تعالى : ﴿ فيهما عينان نَضَّاختان ﴾ . وقول الأعشى :

. . . . ووصال ذى رحم نضحت بلالها

ويروى : نضخت . ويقال : صَمَحَتْه الشمسُ وصمخته ، أى : غيّرت لونه وأحرقته . ويقال : مُحّ ومُخّ ، ولحم ولخم ، وشحم وشخم ، ومَطَرٌ سَحّ وسخّ : كثير الماء . قال الراجز :

يا هنــدُ أُسقيتِ السّحـاب السُّخُخـا
لا تجــعــلينى كهجــانٍ أبْــزَخَــا

ويقــال : رجـل رَحُـوث ورَخُـوث ، أى : كبير البطن . وأورد كلمتين مما أورده ابن السكيت ، وهما : فاح ريحُ المسك يفوح ، وفاخ يفوخ فَيَحَاناً وفَيخانا ، وفَوَحَاناً وفَوخانا . وتَخوّفت الشىء وتحوّفته ، أى : تنقّصته . هذا جميع ما أورده الزجاجى [1] » .

وهذا النص بعبارته فى الإبدال والمعاقبة والنظائر (ص ٤٩ ـ ٥٢) .

وفيمـا يلى بيان بالاقتبـاسـات التى تؤكد هذا الرأى ، فى كتاب شرح شواهد الشافية وما يقابلها فى الإبدال والمعاقبة والنظائر .

(ص ٤٢٥) : وقد أورد الزجاجى هذا الشعر فى أماليه الكبرى ، فى بحث إبـدال الحـروب بعضها . قال فى باب التاء والكاف فى المكنى . . . » = الإبدال والمعاقبة والنظائر ١٠٦ .

(ص ٤٣٣) : « وكـذا عقـد له فصـلا أبـو القـاسم الـزجاجى فى أماليه الكبرى . . . » = الإبدال والمعاقبة ٣٣ .

(ص ٤٣٥) : « وأما ما أورده الزجاجى . . . » = الإبدال والمعاقبة ٣٤ .

---

(١) ذكـر البغـدادى هذا المـوضـع كذلك فى كتابه : خزانة الأدب ٢٥٨/٢ فقال : « وأما الزجاجى فإنه رواه فى آخر أماليه الكبرى على خلاف هذه الرواية . . . . » . وكذلك فى كتابه : شرح شواهد المغنى ٣/ ٣٥٠ فقال : « وقد روى الزجاجى فى آخر أماليه الكبرى هذا الرجز » . ولما كان هذا الكلام قد ورد فى آخر كتاب الإبدال والمعاقبة ، فإننا يمكن أن نستنبط من كلام البغدادى فى هذين الموضعين أن باب الإبدال والمعاقبة والنظائر ، كان آخر أبواب الأمالى الكبرى للزجاجى .

(ص ٤٣٨) : « ومما أورده الزجاجى فى أماليه . . . » = الإبدال والمعاقبة ٢٩ .

(ص ٤٥٧) : « وزاد الزج[illegible] . . . » = الإبدال والمعاقبة ٩٩ .

(ص ٤٦٤) : « وزاد الزجاجى . . . » = الإبدال والمعاقبة ٣٧ .

(ص ٤٦٦) : « وزاد الزجاجى . . . » = الإبدال والمعاقبة ٩٣ .

(ص ٤٧٠) : « وزاد الزجاجى . . . » = الإبدال والمعاقبة ٥٥ .

وقد ثبت من كل هذا أن كتاب : « الإبدال والمعاقبة والنظائر » جزء من كتاب كبير للزجاجى وليس كتابا مستقلا [1] . وهذا الأمر ينبغى أن يلاحظ عند التفكير فى إعادة طبع الكتاب مرة أخرى ؛ إذ ينبغى أن ينشر على أنه فصل من الأمالى الكبرى ، لا على أنه كتاب مستقل .

* * *

وهــذا مثــال صارخ على ما ينبغى أن يتحلى به المحقق من الصبـر والجلد ، وعـدم التسرع فى اتخاذ القرار ، إلا بعد التيقن والاطمئنان إلى الحكم بنسبة مخطوطة ما إلى أحد علماء العربية ، وعدم الأخذ بالظن فى إثبات عنوان المخطوط ، حتى لو استغرق كل ذلك سنوات وسنوات .

ففى سنـة ١٩٦٠ م ، قرأت فى فهرس المخطوطات ، الذى صنعه « دير نبورج » Derenbourg لمكتبة دير الإسكوريال بأسبانيا ، أن أبا هلال العسكرى ألف كتابا سماه : « النوادر فى العربية » ، ونقل بعض مقدمته ، ومنها : « الحمد لله رب العالمينْ ، وصلواته على نبيه محمد وآله أجمعين .

أحــقًّــا عبــادَ الله أنْ لســتُ لاقــيا بثـينــة أو يلقــى الـثــريّا رقيـبُـهَــا

عَلَامَ أيهـا الأخ وقـاك الله المحـذور ، ولقاك فى مقاصيدك السرور ، تضاهى النجم ورقيبه فى المقاطعة ، ولاتباهى الثريّا والعَيُّوق بالمطالعة . . . . » .

وقد أعجبنى آنذاك موضوع الكتاب ، وبراعة أبى هلال ـ زعموا ـ فى مقدمته ، وأنا من المغرمين بتحقيق التراث العربى القديم ، لكبار علماء العربية .

---

(١) انظر مقالتنا : « كتاب الإبدال والمعاقبة والنظائر ، للزجاجى ، ليس كتابا مستقلا له » فى مجلة « المكتبة » العراقية ـ فبراير ١٩٧٢ م .

ومن ميونخ بألمانيا الغربية ـ حيث كنت أحضر أطروحتي للدكتوراه ـ كتبت خطابا إلى مكتبة دير الإسكوريال ، راجيا أن يصوروا لى نسخة من هذا الكتاب النفيس : « النوادر فى العربية » ، لأبى هلال العسكرى !

وعندما وصلت إلىّ المصورة ، ووقعت عينى على الصفحات الأولى منها ، وجدت ماادعاه « ديرنبورج » فى فهرسه ، سرابا فى سراب ، فلا الكتاب كتاب « النوادر » ، ولاصاحبه « أبو هلال العسكرى » ، فليس للكتاب عنوان ، وإنما توجد على الهامش الأيسر الأعلى ، لوجه الورقة الأولى البالية منه ، هذه العبارة : « هذا الكتاب يذكر فيه فضائل فضلاء العرب ، وفيه أحسن أشعار أمْثَلِهم ، بحسب المناسبة واقتضاء المقام ، فى شأن أكثر المتداولات بينهم ، والمستعملات بين جميع الشعراء والمنشئين » .

وتحت هذا الكلام بيتان للبديع الهمذاني ، هما :

رأى الصيف مكتوبا على باب داره	فصحفه ضيفا فمال إلى السيف
فقلت له خيرا فأوهم أنني	أقول له خبزا فمات من الخوف

أما الوهم الذى وقع فيه « ديرنبورج » بنسبة المخطوطة إلى أبى هلال العسكرى ، فإن مبعثه أن الهامش الأعلى لظهر الورقة الأولى ، به قبل النص مباشرة طغراء ، قراءته : « صاحبه حسن بن عبد الله » ، وهو لمالك النسخة بلا شك ، ولكن « ديرنبورج » ظن أن كلمة : « صاحبه » تعنى : « مؤلفه » ، فراح يبحث فى كتب التراجم والطبقات ، عمنْ سمى بالحسن بن عبد الله ، فعثر على « أبى هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى » (المتوفى بعد سنة ٣٩٥ هـ) ، فنسب الكتاب إليه !!

وهكذا ضاع العنوان ، وضاع المؤلف لهذا الكتاب القيم ، فى طرفة عين ! وعندئذ رحت أتصفح المصورة التى حصلت عليها من دير الإسكوريال بعناية ودقة ، فوجدت صاحبها يحدث عن خمسة من العلماء ، وهم :

١ ـ أبو الحسن بن طلحة الإسفراييني (٣ أ / ٩ : حدثنى أبو الحسن بن طلحة الاسفراييني وهو من ذى البيوتات القديمة فى العلم بخراسان) .
٢ ـ عبد القاهر الجرجانى (٢٠ ب / ١٣ : وأنشدنى الشيخ عبد القاهر النحوى) .

٣ - ابن أيوب البزّار (٣٢ أ / ٩ : وأخبرنا ابن أيوب البزار ، بمدينة السلام) .

٤ - فيد بن عبد الرحمن الصوفى (٣٢ أ / ١٢ : وأخبرنى فيد بن عبد الرحمن الصوفى ، بهمذان) .

٥ - أبـو الحسن على بن أحمد النسوى (٧٧ أ / ٨ : وحدثنى أبو الحسن على بن أحمد النسوى) .

كما يذكر المؤلف من مصنفاته خمسة كتب ، هى :

١ - الخيل (انظر : الكتاب التالى) .

٢ - الإبـل (١٥ ب / ١٠ : وأنـا أورد منهـا - أى سيوف العـرب - مايحسن موقعه من المنثور والمنظوم ، حسبما ذكرت فى كتابيّ : الخيل ، والإبل ، من أسمائها) .

٣ - منية الأديب (٥٥ أ / ٤ : وقد صنفت كتابا وسمته بمنية الأديب) .

٤ - الـدرّة الثمينـة (٦٧ ب / ١٥ : وقد ذكرنا فى الكتاب الموسوم بالدرة الثمينة من هذا الفن مافيه كفاية ومقنع ٧٤ ب / ٣ : وليجل ناظره فى كتابى الموسوم بالدرة الثمينة) .

٥ - الفيصل (٧٤ أ / ٢٠ : فليتصفح كتابى الذى يدعى : الفيصل) .

ولم يشتهر مِنَ العلماء الخْمسة السابقين ، سوى عبد القاهر الجرجانى النحوى البلاغى الكبير ، صاحب : الجمل فى النحو ، والمتقصد فى شرح الإيضـاح ، ودلائـل الإعجـاز ، وأسـرار البـلاغة وغيرها . وقد توفى سنة ٤٧١ هـ [1] .

ولاتذكر الكتب التى ترجمت لعبد القاهر الجرجانى ، فى أثناء ترجمتها له سوى تلميذين ، هما : أبو الحسن على بن محمد الفصيحى [2] ، وأبو زكريا يحيى بن على الخطيب التبريزى [3] .

وقـد بحثت طويلا فى ترجمـة كل واحد منهما ، عن الكتب الخمسة

---

(١) انظر ترجمته فى إنباه الرواة ٢/١٨٨ .

(٢) توفي سنة ٥١٦ هـ . انظر ترجمته في بغية الوعاة ٢/١٩٧ .

(٣) توفي سنة ٥٠٢ هـ . انظر ترجمته في بغية الوعاة ٢/٣٣٨ .

المـذكـورة فى المخـطوطة ، فلم أجد لواحد منها أثرا فى أى كتاب ترجم لهمـا . وإذا كان عدم ذكر كتاب ما فى كتب التراجم والطبقات ، لايصح وحده أن يكون مؤديا إلى الشك فى نسبة الكتاب إلى مؤلفه ، كما سبق أن ذكرنا ، فقد هممت فى ذلك التاريخ السحيق ، أن أنشر هذا الكتاب القيم ، تحت عنـوان : « كتـاب فى النـوادر ، لتلميذ مجهـول لعبـد القـاهـر الجـرجـانى » . ولكن الحنبلية المتـطرفـة التى منيت بهـا فى بحـوثى وتحقيقاتى ، منذ القديم ، جعلتنى أحجم بسرعة عما كنت قد هممت به .

ومضى ربع قرن من الزمان ، كنت فيه مفتوح العين ، على أيه ترجمة لعبـد القـاهر الجرجانى تظهر هنا أو هناك ، وعلى أى عنوان من عنوانات الكتب السابقة ، فى هذا المرجع أو ذاك .

وكان صديقى المستشرق الألمانى « رودلف زلهايم » ، قد ظن ـ وكنت تحدثت معه بشأن هذا المخطوط ـ أنه عثر على المؤلف ، وهو « الإمام أبو حامد الغزالى » (المتوفى سنة ٥٠٥ هـ) ؛ لأن بعض كتّاب التراجم ذكر له كتاب : « الفيصل » ، كما أنه من معاصرى الإمام عبد القاهر الجرجانى ، والرواية عنه فى هذه الحالة أمر ممكن .

غير أن هذا الظن ذهب أدراج الرياح ؛ إذ تبيّن لى بعد البحث ، أن الاسم الكـامـل لكتـاب الغـزالى هو : « الفيصـل فى التفرقة بين الإسلام والـزنـدقـة » ، ومـوضوعه بعيد عن سياق الموضوع الذى ذكر فيه كتاب : « الفيصل » فى المخطوطة .

وفى شهر فبراير من سنة ١٩٨٥م ، كنت أقلب ذات مساء كتاب « معجم الأدبـاء » لياقـوت الحموى ، بحثا عن بعض ماكنت مشغولا به آنذاك من مسائل العلم ، وإذ بعينى تلتقط فى أول سطور صفحة (٢٤٤) من الجزء السـابـع عشر ، عبارة « الدُّرَّة الثمينة [١] » ، وهى عنوان لأحد مؤلفات أبى المظفر محمد بن أحمد الأبيوردى ، الشاعر المشهور (المتوفى سنة ٥٠٧ هـ) . وقد فرحت فرحا شديدا ، وأنا أقلب ترجمة الأبيوردى فى معجم الأدباء ، إذ رأيت ياقـوتـا يذكـر مرتين أن الأبيوردى لقى عبـد القـاهر بن عبد الرحمن الجرجانى النحوى ، وأخذ عنه .

---

(١) ذكره أيضا : الصفدي في الوافي بالوفيات ٢ / ٩١ والبغدادي في هدية العارفين ٢ / ٨١ .

وأخذت أبحث عن الأبيوردى فى كتب التراجم والطبقات ، حتى أكون على يقين مما ذكره صاحب معجم الأدباء ، وقد وجدت الكثير منها يذكر أنه تتلمذ على عبد القاهر الجرجانى .

وهنا لابد من التوقف أمام قضية خطيرة ، نجدها فى كتب التراجم والطبقات ، إذ تعودت هذه الكتب أن ينقل اللاحق منها عن السابق ، دون أن يقوم مؤلفوها بالتنسيق المطلوب بين المعلومات المذكورة فيها هنا وهناك .

فنجد مثلا فى كتاب : بغية الوعاة (١ / ٤٠) فى ترجمة « الأبيوردى » أنه تلقى العلم على « عبد القاهر الجرجانى) ، على حين نجد أن السيوطى قد أخلّ بهذه المعلومة فى ترجمة « عبد القاهر الجرجانى » (بغية الوعاة ٢ / ١٠٦) ، فلم يذكر « الأبيوردى) هنا من بين تلامذة هذا الإمام الجليل !

وبعدم التنسيق هذا الذى ذكرناه ، يمكن أن نفسر كيف ظهر « الأبيوردى » تلميذا للإمام « عبد القاهر الجرجانى » فى ترجمة مؤلِّفٍ ما لأبى المظفر الأبيوردى على حين نجد أن هذا المؤلف قد صمت تماما عن ذكر هذه التلمذة ، وهو يترجم لعبد القاهر الجرجانى ! ؟

وعندما تيقنّا من عزو الكتاب إلى الأبيوردى ، وزال الغموض عن شخصية مؤلفه ، كان علينا أن نبحث عن عنوان الكتاب ، وعندئذ لجأت إلى قائمة المؤلفات التى يعدّها كتاب التراجم له ، حينما يتحدثون عنه ، ووقع بصري فى هذه القائمة على مجموعة من العنوانات ، التى تتناسب ـ حسبما كنا نعتقد ـ مع موضوع المخطوطة ، وهى :

١ ـ نهزة الحافظ (١) .
٢ ـ المجتبى من المجتنى (٢) .
٣ ـ زاد الرفاق فى المحاضرات (٣) .

ورجعت إلى تاريخ الأدب العربى ، لكارل بروكلمان (٥ / ٣٢) ، راجيا أن أجد واحدا من هذه الكتب ، مخطوطا أو مطبوعا ، حتى يمكننى تحديد العلاقة بينه وبين المخطوطة التى معنا .

---

(١) ذكر في : معجم الأدباء ١٧/٢٤٣ والوافي بالوفيات ٢/٩١ وهدية العارفين ٢/٨٢ .
(٢) ذكر في : الوافي بالوفيات ٢/٩١ وهدية العارفين ٢/٨٢ .
(٣) ذكر في : كشف الظنون ٢/٦٤٥ وإيضاح المكنون ١/٦٠٦ وهدية العارفين ٢/٨٢ .

وعـرفت من تاريخ الأدب العـربى أن كتاب « زاد الرفاق » للأبيوردى مخطوط ، ومنه نسخة فى دار الكتب المصرية ، فحملت مخطوطتى ويممت وجهى شطر دار الكتب ، وهناك زال الإبهام ، وانكشف الغموض ؛ إذ أثبتت المقـابلة أن مخطوطتى ، التى طلبت مصورتها من دير الإسكوريال ، قبل خمسـة وعشـرين عاما مضت ، ليست إلا نسخة أخرى من كتاب : « زاد الرفاق » للأبيوردى ، وإن كان بها خرم يصل إلى حوالى ١٩٠ ورقة ، بعد الصفحة الأولى منها . ومن الكتاب نسخة ثالثة كاملة فى مكتبة « لاله لى » فى استانبول (رقم ١٧٨٦) .

وهكـذا ، وبعـد انتـظار دام ربع قرن ، استطعت بحمد الله تعالى ، وشىء من الصبر والتأنى ، أن أعيد الهويّة إلى مخطوطة ظلت قابعة لسنوات طوال فى دير الإسكوريال ، تحت اسم مزيف ، ومؤلف لم يسلم من التزوير .

* * *

قائمـــة المصـــادر

١ ـ ابن السكيت اللغوي ، لمحيى الدين توفيق ـ بغداد ١٩٦٩ م .

٢ ـ اشتقـاق الأسماء ، للأصمعى ـ تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب والدكتور صلاح الدين الهادى ـ القاهرة ١٩٨٠ م .

٣ ـ الأضداد في اللغة ، لمحمد حسين آل ياسين ـ بغداد ١٩٧٤ م .

٤ ـ الأمثال ، لأبى فيد مؤرج بن عمرو السدوسى ـ تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب ـ القاهرة ١٩٧١ م .

٥ ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة ، للقفطى ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ القاهرة ١٩٥٠ ـ ١٩٧٣ م .

٦ ـ إيضاح المكنون ، لإسماعيل باشا البغدادي ـ استانبول ١٩٤٧ م .

٧ ـ البئر ، لأبن الأعرابى ـ تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب ـ القاهرة ١٩٧٠ م .

٨ ـ بروكلمان GAL (S) =

Geschichte der Arabischen Litteratur, Bd. I-II, Leiden 1943- 1949
und suppl I-III 1937-1942.

٩ ـ بغية الـوعـاة فى طبقـات اللغـويين والنحاة ، للسيوطي ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥ م .

١٠ ـ البلغة فى شذور اللغة ـ نشر أوجست هفنر ولويس شيخو ـ بيروت ١٩١٤ م .

١١ ـ البلغة فى الفرق بين المذكر والمؤنث ، لأبى البركات بن الأنباري ـ تحقيق رمضان عبد التواب ـ القاهرة ١٩٧٠ م .

١٢ ـ تصحيح التصحيف وتحرير التحريف ، لصلاح الدين الصفدي ـ تحقيق السيد الشرقاوى ومراجعة الدكتور رمضان عبد التواب ـ القاهرة ١٩٨٧ م .

١٣ ـ ثلاثة كتب فى الأضداد ، للأصمعى وابن السكيت وأبى حاتم السجستاني ـ نشر أوجست هفنر ـ بيروت ١٩١٣ م .

١٤ ـ خزانة الأدب ، لعبد القادر البغدادي ـ بولاق ١٢٩٩ هـ .

١٥ ـ الخطب والمواعظ ، لأبى عبيد القاسم بن سلام ـ تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب ـ القاهرة ١٩٨٦ م .

١٦ ـ الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، لابن حجر العسقلانى ـ تحقيق محمد سيد جاد الحق ـ القاهرة ١٣٨٥ هـ .

١٧ ـ شرح شواهد المغني ، لعبد القادر البغدادي ـ تحقيق عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق ـ دمشق ١٩٧٣ ـ ١٩٨١ م .

١٨ ـ فصول في فقه العربية ، للدكتور رمضان عبد التواب ـ القاهرة ١٩٨٧ م .
١٩ ـ الفهرست ، لابن النّديم ، القاهرة ١٣٤٨ هـ .
٢٠ ـ قواعد الشعر ، لأبى العباس ثعلب ـ تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب ـ القاهرة ١٩٦٦ م .
٢١ ـ كتاب الإبدال والمعاقبة والنظائر ، للزجاجى ، ليس كتابا مستقلا له ـ مقالة للدكتور رمضان عبد التواب بمجلة « المكتبة » العراقية ـ فبراير ١٩٧٢ م .
٢٢ ـ كتاب الأ ضداد للأصمعى ، ليس للأصمعى ـ مقالة للدكتور رمضان عبد التواب بمجلة « المكتبة » العراقية ـ نوفمبر ١٩٦٦ م .
٢٣ ـ كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، لحاجى خليفة ـ استانبول ١٩٤٣ م .
٢٤ ـ اللغـة العربية العامية ـ مقالة لعيسى إسكندر المعلوف بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة (الجزء الأول) سنة ١٩٣٤ م .
٢٥ ـ معجم الأدباء ، لياقوت الحموي ـ نشر أحمد فريد رفاعى ـ القاهرة ١٩٣٦ م .
٢٦ ـ مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين ، للدكتور رمضان عبد التواب ـ القاهرة ١٩٨٦ م .
٢٧ ـ النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، لابن تغرى بردى ـ القاهرة ١٩٣٠ م .
٢٨ ـ هدية العارفين في أسماء المؤلفين والمصنفين ، لإسماعيل باشا البغدادى ـ استانبول ١٩٥٥ م .
٢٩ ـ الوافى بالوفيات ، للصفدي ـ تحقيق هلموت ريتر وآخرين ـ فيسبادن ١٩٦٢ ومابعدها .
٣٠ ـ وكتـاب النخـل والكرم أيضا ليس للأصمعى ـ مقالة للدكتور رمضان عبد التواب بمجلة « المكتبة » العراقية ـ مارس ١٩٦٧ م .

* * *